ظلال التناص
قراءة في نصوص الشاعر السعودي حسن الصلهبي

منى بنت فالح الحربي
المملكة العربية السعودية

1. إضاءة

يسعى هذا البحث إلى رصد أنماط التناص في شعر الصلهبي وأبرز الخلفيات النصية التي حاورها شعره، وبالعودة إلى مدونة الشاعر نجد أنه حاور نصوصًا مختلفة ومتنوعة من حيث البنية اللغوية والسياق الثقافي وإحالات النص؛ مما يترجم وعيًا حادًا لدى الشاعر؛ مثله انفتاحه على فضاءات لغوية وثقافية وأدبية خصبة، تفصح عن عمق ثقافته وحيوية رؤيته الشعرية التي اشتغل على تطويرها بعمق عبر مساراتها المتشعبة.

2. التناص الديني

يعتبر الموروث الديني من أهم المصادر التي استلهم منها الشعراء، ووظفوها في نصوصهم الشعرية، ومن ذلك القرآن الكريم الذي يعد أساس الفصاحة والبلاغة والبيان، ومن ذلك أيضا الأحاديث النبوية الشريفة. وإذا كان "الكتاب المقدس هو المصدر الأساسي الذي استخدمه الأدباء الأوربيون في شخصياتهم ونماذجهم فإن عددًا كبيرًا منهم قد تأثر ببعض المصادر الإسلامية وفي مقدمتها القرآن الكريم حيث استمدوا من هذه المصادر الإسلامية الكثير من الموضوعات والشخصيات التي كانت محور الأعمال الأدبية العظيمة".[1]

وقد شاعت ظاهرة استرفاد الشعراء العرب المحدثين بالنصوص الدينية؛ رغبة منهم في تعميق دلالاتهم وأفكارهم في نصوصهم الشعرية، إذ أن الشاعر العربي يميل في خطابه إلى الاتكاء على الخلفية الثقافية للمتلقي العربي وهي خلفية دينية في الدرجة الأولى، ويستثمر ما بلغة القرآن الكريم من طاقة فنية هائلة، فيبدو في موقف فني مستلهمًا ومنتجًا في الوقت نفسه، يستخلص الإمكانيات

---

[1] – علي عشري زايد/ استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ط)، 1997م، ص 75.

الجمالية من النصوص القرآنية، ويقتبس من أضواء التعبير القرآني، ويستثمر ما يختزنه ذلك التعبير من إعجازٍ لغوي يثري نصوصه و يكثف رؤيته الخاصة وتوليد لغته المتفردة.[1]

في ضوء ذلك؛ فإن الصلهبي أحد الشعراء الذين استلهموا من المصادر الدينية واتكأوا عليها في نصوصهم الشعرية وقد تجلى ذلك في شعر الصلهبي على النحو التالي:

2. 1. القرآن الكريم

للقرآن الكريم تأثير بالغ في لغة الصلهبي الشعرية، فقد استعان في بعض نصوصه بألفاظ القرآن الكريم وحاول الإفادة من نصوصه ورموزه بعدة طرق، محيلاً إلى الآيات القرآنية ألفاظًا وقصصًا وإشارات، مما أسهم في إعطاء نصوصه القيمة والتجدد والتألق والهيمنة القوية في التأثير على المتلقي.

والمتتبع لتجربة الصلهبي يظهر له حرصه على توظيف التناص الديني في شعره، يظهر ذلك من خلال استدعاء الشاعر أسماء سور القرآن الكريم عناوين لقصائده الشعرية، منها: (قصيدة القيامة)،[2] (قصيدة الحشر)،[3] قصيدة الشمس.[4] كما تستدعي تلك العناوين معجم القرآن الكريم، كما في: (البرزخ)،[5] (قاب قوسين من مشرق الشمس)[6].

ويحضر ذلك المعجم بقوة في عمق النصوص الشعرية عند الصلهبي، كما في قوله:[7]

فَإنَّ لَنَا فِي الليلِ سَوْرَةَ عَاشَقٍ وَفِي الفَجْرِ آيَاتُ العِنَاقِ المُرَفْرِفِ

وقوله:[8]

وأنثال طهرًا كالوضوء على الدنا فالأرضُ تُغسلُ بالغمامِ وتُرحمُ

---

1 – هدى بنت صالح الغايز/ لغة الشعر السعودي الحديث دراسة تحليلية نقدية لظواهرها الفنية، النادي الأدبي بالرياض، 2011، ص 265.

2. حسن الصلهبي/ بين يدي امرئ القيس، نادي القصيم الأدبي، ط1، 2010، ص 29.

3. حسن الصلهبي/ المرجع نفسه، ص 25.

4. حسن الصلهبي/ المرجع نفسه، ص 33.

5. حسن الصلهبي/ المرجع نفسه، ص 17.

6. حسن الصلهبي/ لا سواي يليق بك، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2016، ص 70.

7. حسن الصلهبي/ بين يدي امرئ القيس، (م. س)، ص 61.

8. حسن الصلهبي/ بين يدي امرئ القيس، (م. س)، ص 77.

وقوله:[1]

عشـــراتٌ من الســـنين عجـافٌ وثوان من الســـكون شـــفـاعَـةْ

إن المفردات السابقة مستمدة من معجم القرآن الكريم وهي: (**سورة، آيات، الوضوء، عجاف**) استحضرها الشاعر في نصه لما لها من تأثير كبير ومباشر على متلقي النص، كما أنها أضفت على النص ظلالاً من الطابع الديني.

ومن نماذج التناص مع الآيات القرآنية، قوله:[2]

وَأسْـبَحُ مِثْلَ الضَّـوءِ في الجَهْلِ، إنَّمَا منَ الجَهْلِ إنْ غاصَتْ بِهِ الشَّمْسُ تكْسِفِ

سَـأحْمِلُ لِلآتِيْنَ مِنْ رَوْعَتِي عَصَـا أهُشُّ بِهَا زَحْفَ الغبار المـكثَّفِ

هذا النص يتناص مع قوله تعالى: (**قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى**)[3]. جاء التناص في ذكر مفردة "**العصا**" والفعل "**أهش**"، ومن الملاحظ أن المعنى الذي جاء في الآية والذي أراده النبي موسى عليه السلام من العصا هو أن يتوكأ عليها، ويهش بها على غنمه، كما أنه يستخدمها في أشياء أخرى غير المعنى الذي ورد في النص، بيد أن الصلهبي أراد بها معنى جديدًا؛ وهو أن يهش بها على زحف الغبار؛ أي جيوش الشعراء غير المتمكنين وما ينتجونه من شعر ضعيف وركيك، مقدمة إحالة رمزية بأن شعره له عجائبية وقدرة خاصة كعصا موسى عليه السلام.

2. 2. الحديث النبوي

اتضح في التناص مع القرآن الكريم أن الكثير من الشعراء يستمدون مادتهم الشعرية من النصوص القرآنية التي تُسهم في إغناء نصوصهم الشعرية، فإن الحديث الشريف أحد المشارب التناصية التي رفد منها الشعراء العرب في عصورهم المختلفة، وإن كانت في البداية جاءت بشكل مباشرٍ هدفه النصح والإرشاد، أو أخذ العظة والعبرة، لكنها بعد حين أصبحت متداخلة بالنص الشعري تداخل السدى واللحمة، حتى يصعب فصلهما كما يصعب تبينها، وخاصة عند غياب الإحالة أو التنصيص.[4]

---

[1] . حسن الصلهبي/ خائنة الشبه، نادي أبها الأدبي، 2003، ص 49.

[2] . حسن الصلهبي/ بين يدي امرئ القيس، (م. س)، ص 31.

[3] . سورة طه، آية (18).

[4] . المرجع السابق، ص 46.

ورد التناص مع الحديث الشريف في نصوص الصلهبي بنسبة أقل مقارنة بالتناص مع القرآن الكريم، ومن نماذج ذلك قوله:[1]

فَمِنْ طَـارِقٍ بِـالشِّـعْرِ بَـابًـا لِثَرْوَةٍ ... وَمِنْ مَاسِـــحٍ كَفَّ البَلاطِ المُصَـــفَّفِ
وَمِنْ سَـــاتِرٍ عُرْيَ الثَّقَـافَـةِ بِـالخَنَـا ... وَمِنْ زَارِعٍ فِيهَـا بُـذُورَ التَّخَلُّـــفِ
أُصِـــيْخُ إِذَا كَحَّ الظَّلامُ فَلَمْ أَجِـدْ ... نَقِيْقَ الـدُّجَى إِلاَّ نَشِـيـدَ تَعَسُّـفِ
إِذَا كَـانَـتِ الأَيَـام تُـخْـرِقُ ظِـلَّـهَـا ... فَأَيُّ رَمَادٍ مِنْ بَقَايَاهُ نَصْـطَفِـــي
وَأَيُّ زَمَـانٍ يُـنْـجِـزُ الـرَّغْـدُ وَعْـدَهُ ... وَيَرْوِي خَشَـــاشَ الأَرْضِ دُونَ تَطَرُّفِ

في هذا النص استعان الشاعر بالحديث النبوي الشريف وهو، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"عُذِّبت امرأة في هرّة حبستها حتى ماتت جوعًا، فدخلت فيها النّار، يقال والله أعلم: لا أنتِ أطعمتيها، ولا سقيتيها حين حبستيها، ولا أنتِ أرسلتيها فأكلت من خشاش الأرض".[2] نرى أن الشاعر استدعى كلمتي (خشاش الأرض) ودمجها في نصه الشعري فهذا النص جاء نتيجة صراع بين الشاعر وشعراء آخرين فالشاعر يدافع عن الشعر القوي ويتحدث عن هؤلاء الذين يظنون أن الشعر هو وسيلة لكسب الثروة وغيره، والنص يدور حول الثقافة بمفهومها الكامل التي تمثل السلوك الحضاري والأدبي، ففي هذه الأبيات نوع من أنواع السخرية فأن الشاعر شبه أولئك الشعراء بالظلام وشبه شعرهم الذي يدل على التعسف والتزمت والتعصب للرأي الشخصي بنقيق الضفادع في الليل، ثم تحدث بنوع من أنواع الحكمة بقوله إذا كنا نحن كمجتمع متكامل ونشوه بعضنا ونحرق أنفسنا سنصبح كالرماد الذي لا نستطيع أن نصطفي منه شيئا، ثم يتمنى الشاعر أمنية جميلة ينتظرها وهي بأن يأتي زمن جديد تكون فيه الأشياء كما يتمناها الشاعر ويريدها فيروي خشاش الأرض أي أن هذا الري يصل إلى كل شيء فعبر الشاعر بأدق التفاصيل بقوله خشاش الأرض كما عبّر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق عن أكل الهرة من طعام وسقيا وبالأخير عبر بتعبير دقيق وهو قوله تأكل من خشاش الأرض.

3. التناص الأدبي

الشعر العربي القديم والحديث يعد رافدًا ثرًا يرتوي منها الشاعر العربي المعاصر في تكوين بنية نصوصه، فيستقي منه لما يحمله من معرفة وثقافة، ولغة قوية جزلة، وبذلك فإن التناص

---

[1] . حسن الصلهبي/ بين يدي امرئ القيس، (م. س)، ص 26.

[2] . الإمام البخاري/ صحيح الأدب المفرد، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل، ط 4، 1997م، ص 150. 151.

الأدبي "سمة جوهرية في الثقافة العربية حيث تشكل العوالم الثقافية في ذاكرة الإنسان العربي ممتزجة ومتداخلة في تشابك عجيب ومذهل".[1]

وقد نصّ على أهمية الذاكرة الشعرية كثيرٌ من النقاد العرب القدامى منهم: ابن طباطبا العلوي، الذي أوصى الشاعر أن يُديم النظر في الأشعار الجيدة لتلصق معانيها بفهمه، وترسخ أصولها في قلبه، وتصير مواد لطبعه، ويذرب لسانه بألفاظها؛ فإذا جاش فكره بالشعر أدى إليه نتائج ما استفاد ما نظر فيه من تلك الأشعار، فكانت تلك النتيجة كسبيكة مفرغة من جميع الأصناف التي تخرجها المعادن، وكما قد اغترف من واد قد مدته سيول جارية من شعاب مختلفة، وكطيب تركّب من أخلاط من الطيب كثيرة، فيستغرب عيانه، ويغمض مستبطنه، ويذهب في ذلك إلى ما يحكى عن خالد بن عبدالله القسري، فإنه قال: حفّظني أبي ألف خطبة ثم قال لي: تناسها؛ فتناسيتها؛ فلم أرَ بعد ذلك شيئا من الكلام إلا ما سهل علي".[2]

وفي سياق ذلك فإن ابن خلدون كان أحد النقاد الذين تكلموا عن التناص الشعري ودور الذاكرة في تحليل المخزون الشعري بقوله: "ثم بعد امتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على منوال يقبل النظم وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ، وربما يقال إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة إذ هي صادرة عند استعمالها بعينها فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الأسلوب فيها كأنه منوال يؤخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة".[3]

وبالتالي فإنه من "البديهي في الأمور أن الشاعر إذا أحب الشعر، وتشرب عشقه، أن تُؤازره ذاكرته عند ممارسته لكتابة الشعر، وبالتالي ستتحول تلك المؤازرة إلى تناص شعري مع ما علق في ذاكرته من نصوص شعرية يُزين بها قصائده ويقرب بها فكرته".[4]

3. 1. الشعر العربي القديم

يمتاز الشعر العربي القديم بلغة قوية، وجودة وجمال في التصوير، ونلمس تأثرا جليا للصلهبي بمدونة الشعر القديم مما يتجلى في استدعائه للشخصيات التراثية القديمة، فقد تأثر

---

[1] – عبد الله الغذامي/ ثقافة الأسئلة: مقالات في النقد والنظرية، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 2، 1993م، ص 119.

[2] – محمد أحمد بن طباطبا العلوي/ عيار الشعر، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت، ط 2، 2005م، ص 16.

[3] – عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون/ المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 4، (د. ت)، ص 574.

[4] – حسين الدخيلي/ جماليات العنوان في شعر سميح القاسم، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد 32، 2018م، ص 11.

بالشاعر الجاهلي امرئ القيس الذي شغل الشعراء قديمًا وحديثًا، حيث إنَّ شخصيته الشعرية قوية وذلك ما يؤكده استلهام الشعراء والأدباء من تجربته الشعرية باستمرار.

وتتجلى هذه الأهمية في تجربة الصلهبي الشعرية واستدعائه له في نصوصه وعناوين قصائده، وأبرز نماذج ذلك ديوانه الشعري المعنون بـ **(بين يدي امرئ القيس)** وهو ديوان يشد انتباه القارئ ويزوده بمحفزات قرائية تحيل إلى الذاكرة الشعرية التراثية. في هذا الديوان يحاور الشاعر "امرؤ القيس" بوصفه أب الشعر العربي، فيشكو إليه حزنه ويرثيه ويندب غيابه، ويوجه خطابه الشعري له بقوله:[1]

أبي إنَّهُمْ يَنْوُونَ قَتْلِي.. تَكَشَّفَتْ نَوَايَاهُمُ نَخوِي، وإنِّي لَهُم وَفِي

وقوله:[2]

أبي ضَاقَ صَدْرُ الشِّعْرِ حَتَّى حَسِبْتُهُ عَجِينَةَ عِلْكٍ فِي قَضِيبٍ مُغَلَّفِ

كما يواصل الشاعر استدعاءه لشخصية امرئ القيس في نصوصه إذ يقول:[3]

ألاَ أيُّهَا الضِّلِّيلُ هَا قَدْ تَسَارَعَتْ خُطَاكَ إلى عَرْشِ السَّحَابِ المُشَرَّفِ

لقد استحضر الشاعر في هذا البيت لقب امرئ القيس "الملك الضليل"، وهو يرثيه ويرثي الشعر من بعده فوجّه النداء له بقوله: **ألا أيها الضليل**، فاختار حرف النداء للبعيد " أيها"، ليبين مدى حزنه على رحيله السريع حيث غاب صوت شعريته تملأها القوة والأصالة.

تتداخل نصوص الصلهبي مع نصوص امرئ القيس في مواضع أخرى، ومن ذلك على سبيل المثال، وقوله:[4]

"قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى" الحَبِيبِ وَفَقْدِهِ بِعَبْرَةِ مَخْزُونٍ وَدَمْعٍ مذرَّفِ.

الذي يستدعي مطلع معلقة امرئ القيس:[5]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حبِيبٍ ومنزل بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخولِ فَحَوْمَلِ

---

1. حسن الصلهبي/ بين يدي امرئ القيس، (م. س)، ص 23.
2. حسن الصلهبي/ المرجع نفسه، ص 26.
3. حسن الصلهبي/ المرجع نفسه، ص 23.
4. حسن الصلهبي/ المرجع نفسه، ص 22.
5. امرؤ القيس/ الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، 1984، ص 8.

قامت شعرية نص الصلهبي على استدعاء المطلع الطللي لنص امرئ القيس، المفعم بالشوق والحنين والتذكر. ليربط بوعي فني النص الشعري الحديث بالنص الشعري التراثي القديم عبر عملية تحوير لغوي بسيط؛ حيث استبدل "حبيب" النكرة بـــ "الحبيب" معرفة بأل، واستبدل منزل بـــ "فقده". وورد التناص بهذا الشكل لكون الشاعر يخاطب امرؤ القيس ليعبر عن حالة وجدانية وفنية خاصة.

من خلال ما سبق تتضح قدرة الشاعر على استلهامه للتراث وتوظيفه له لكي يخدم نصه وليدعم رؤيته، فمن الملاحظ أنه استخدم أكثر من طريقة لاستدعاء الشخصيات التراثية فتارة يصرح بالاسم وتارة ينتبه له القارئ من خلال السياق لوجود قرينة تدل على تلك الشخصية. فالشاعر وظّف الشخصيات التراثية في نصه توظيفًا يتلاءم مع نصوصه مما أكسب تجربته ثراء وعمقًا.

3. 2. الشعر الحديث

تحاور نصوص الصلهبي مجموعة من نصوص الشعر العربي الحديث، عبر توظيف مفردات أو اقتباسات أو إيحاءات متنوعة، مما مد بنيته النصية بالثراء والتفاعل. ومن أمثلة ذلك، ما جاء في قصيدته (خطامك في ماء)، حيث يقول:[1]

إذا لم تكن للنصر؟ ... طنت ذبابةٌ وقالت: إذن من يُنكرُ الفضلَ للحجرْ؟

يلاحظ في هذا البيت الشعري أنه ضمّن شطر البيت الثاني من قصيدة إيليا أبو **ماضي** تضمينا كاملا محورًا في مفردة واحدة وهو إبدال الفعل "يعرف" بالفعل "ينكر"، وذلك في قوله:[2]

وقالوا: نصبناه اعترافًا بفضله فقلت: إذن من يعرف الفضل للحجر

استطاع النص أن يُرجع القارئ لنص شعري بعيد غائب، تم استدعاء لبناته لتستقيم مع لبنات النص القريب الحاضر، ومن خلال الاستحضار فإن المتلقي قادر على المشاركة في إنتاج النص من خلال المخزون الثقافي للذاكرة، كما أن العلاقة التناصية واحدة؛ أي: أن الفضل يرجع لقوة الحجر مما أدى إلى نصر وإنجازات عظيمة بعد الله تعالى. بهذا استطاع النص أن يكتسب دلالة معاصرة انتقتها لنا ثقافة الشاعر الواسعة ورؤيته الشعرية عبر حوار تناصي مباشر.

---

[1] . حسن الصلهبي/ خائنة الشبه، (م. س)، ص 42.

[2] . إيليا أبو ماضي/ من أعمال الشاعر إيليا أبو ماضي (الجداول، الخمائل، تبر وتراب)، دار كاتب وكتاب، بيروت، لبنان، 1988، ص 53.

ومن صور العلاقة التي تربط النصوص الحديثة بالنصوص السابقة استدعاء بعض التراكيب أو العبارات كنوع من الاستشهاد ومن ذلك قول الصلهبي:[1]

وخيولُ الريح تعدو قبلنا تسحبُ الركبَ إلى أعلى قمم

ففي هذا البيت استدعاء لقول بدر شاكر السياب:[2]

خيول الريح تصهل والمرافئ يلمس الغرب

صواريها بشمس من دم ونوافذ ألحانه.

وهو تناص جزئي؛ حيث وردت الريح مضافة إلى الخيول كما جاءت في نص السياب، واستبدل الفعل "**تصهل**" بالفعل "**تعدو**" وفي المجمل؛ فإن الاستشهاد قائم على الدلالة نفسها وهي السرعة الشديدة.

ويقول الشاعر في قصيدة (تهدهد حنجرتي بالصلاة):[3]

عَرفتُكِ أُمّي..

ألستِ بأمّي؟

ألستِ التي وضعتني على اليمّ،

يأخذني لدروبِ النجاةْ.

ألستِ التي ولدتني،

وقامت تهدهدُ حنجرتي بالصلاةْ.

فالمتأمل للنص يجد أن معانيه تتقاطع مع معاني نص عبد الله البردوني في قصيدة "كيف أنسى" عندما قال:[4]

يا روعَ قلبي كيفَ أنسى روضةً حَضنتْ صِبا عمري فرفَ مُنَعّما

كم دلّلتني بالحنانِ ولم تكنْ أمي وقد كانتْ أرق وأرحما

حتى عميتُ فكادَ يُعميها البكا وحنانُها الباكي يشاركُني العمى

---

[1] . حسن الصلهبي/ بين يدي امرئ القيس، (م. س)، ص 84.

[2]– بدر شاكر السياب/ نص (المعبد الغريق)، منشور على موقع الديوان على شبكة الأنترنيت من خلال الرابط: https://diwandb.com/poem/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D9%8A%D9%82.html

[3] . حسن الصلهبي/ لا سواي يليق بك، (م. س)، ص 54.

[4] . عبد الله البردوني/ الأعمال الشعرية، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، ط 1، 2009، ج 1، ص 167. 168.

إن الصـــلهبي لم يحاور النص من خلال الألفاظ التي تعبر عن الحبيبة، لكن فاعلية التناص تكمن في تلك المعاني التي أصبح النصـان كبنية واحدة، فكلا التجربتين تخاطب الحبيبة وتتحد في تشبيه الحبيبة بالأم، ففي النص الحاضـر قوله" **ألسـت بأمي**" والنص الغائب بقوله "**لم تكن أمي**" بغض النظر عن أن البردوني قالها في رثاء حبيبته، فالحبيبة عند الشـاعرين في كلا النصـين تقدم مشاعر تشبه مشاعر الأم وهي الحب والعطف والحنان. كما يلاحظ التآلف في فكرة النصين الغائب والحاضر.

4. الأمثال الشعبية

وظف الصلهبي الأمثال الشعبية في شعره ومن تلك الأمثلة، ما ورد في قصيدته (القيامة):[1]

أُقَارِعُ فِي صُـــبْحِي السَـــرابَ، وَلِي يَدٌ أَجُزُّ بِـهَـا جَـذْرَ الـخُـوَاءِ الـمُـثَـقَّـفِ
وَأَسْـــبَحُ مِثْلَ الضَّـــوءِ فِي الجَهْلِ، إِنَّمَا مِنَ الجَهْلِ إِنْ غَاصَـتْ بِهِ الشَّـمْسُ تَكْسِـفِ

ففي الأبيات الســـابقة جاء التناص غير مباشـــر مع مثل معروف وهو: "العلم نور والجهل ظلام" فالتوظيف لم يكن نصًا، وإنما جاء في الدلالة.

كما أنه وظف مثلا في قصيدة (أجنحة حلم)، إذ يقول:[2]

تَدَلَّى من الغيمِ بدرانِ
وانسكبا فضةً في الهزيعِ
فكيفَ سأُرضِي غُرورهُمَا
والسنابلُ من حُرقةٍ
تستميتُ لكي تُمنِعَ الفأسُ في الرأسِ،
أرشفُ من شفتيكِ الوجودْ
وأنتظرُ الليلَ حتى أعودْ

في هذا المقطع اسـتحضـر الشـاعر نص المثل الشـعبي" وقع الفأس في الرأس"[3] وهو مثل يضـــرب فيمن تأتيه المصـــائب وتناله الويلات، وهو متوق منها، حريص على دفعها، فلا ينفعه حرصه، ولا يجديه توقيه.[4]

---

1 . حسن الصلهبي/ بين يدي امرئ القيس، (م. س)، ص 30.

2 . حسن الصلهبي/ لا سواي يليق بك، (م. س)، ص 19.

3 – محمد صادق زلزلة/ مجمع الأمثال العربية البغدادية وقصصها، دار الإرشاد للطباعة والنشر، 2006م، ص 129

4 . المرجع السابق، ص 129.

في ضوء ما سبق؛ يمكن القول إن شعر الصلهبي حاور نصوصًا وتجارب شعرية متعددة، مما يترجم ثقافته الواسعة المختلفة وخلفياته الفنية المتشعبة، حيث تصادف حضور نصوص: امرئ القيس، أبو تمام، ذو الرمة، بدر شاكر السياب، وإيليا أبو ماضي، ومحمود درويش، وعبد الله البردوني، ومحمد الثبيتي...، سواء كان ذلك الحضور عفو الخاطر أو متعمدًا.

5. التناص الرمزي

ورد مصطلح الرمز في عدة معاجم، فمنها معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة فأن الرمز هو: "مصطلح متعدد السمات، غير مستقر، حيث يستحيل رسم كل مفرقا معناه. وعلامة تحيل على الموضوع وتسجله طبقا لقانون ما. و(الرمز) وسيط تجريدي للإشارة إلى عالم الأشياء".[1] وقد جاء في القرآن الكريم، في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا).[2]

وقد عرفه علي عشري زايد بقوله: "الرمز وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية التي ابتدعها الشاعر المعاصر عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية، يثرى بها لغته الشعرية، ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستعصي على التحديد والوصف من مشاعره وأحاسيسه وأبعاد رؤيته الشعرية المختلفة".[3]

وظف حسن الصلهبي الرمز في نصوصه بما يتناسب مع رؤيته الشعرية. ويمكن تقسيم الرمز في تجربته إلى قسمين:

5. 1. الرمز الشخصي

استدعى الصلهبي رموزًا عدة في قصائده، منها الشخصيات الأدبية، لأن "شخصيات الشعراء من بين الشخصيات الأدبية، هي الألصق بنفوس الشعراء ووجدانهم لأنها هي التي عانت التجربة الشعرية ومارست التعبير عنها، وكانت هي ضمير عصرها وصوته، الأمر الذي أكسبها قدرة خاصة على التعبير عن تجربة الشاعر في كل عصر".[4]

حضرت الشخصيات التراثية بشكل جلي في نصوص الشاعر، يقول في قصيدة (وردة لا يكورها الزمن المستدير):[5]

1- سعيد علوش/ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1985م، ص 101. 102.

2. سورة آل عمران، آية (41).

3. علي عشري زايد/ عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سيناء، ط 4، 2002م، ص 104.

4- علي عشري زايد/ استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ص 138.

5. حسن الصلهبي/ خائنة الشبه، (م. س)، ص 45.

لماذا تريدين مني
مضاجعةَ الشعر في كلّ حينٍ
لأجعلَ من وجهكِ المستديرِ
حصان امرئ القيس،
إيوان كسرى،
ومن ثغركِ المستبدّ مزاراً
كخمر النواسيّ
لستُ حفيداً (لفان جوخ)
وليس بوسعي رسم عينيّ (موناليزا)
صحيح بأن هواك عميقٌ
ولكن قلبي حزينٌ... حزينْ.
يُمارسُ ـ دون امتعاضٍ ـ طريقته
في اجتلاب الهوى.
يقولون عنه: بدائي.
ولكنه لم يُراوغْ
ولا يعرف القول في الوجه،
يطوي المسافات ثم يخون.

ففي هذا النص استدعى عدة رموز لشخصيات أدبية منها "امرئ القيس" الذي "ارتبط اسمه بأكثر من قضية فقد كان شاعرًا، وأميرًا، وعاشقًا ماجنا، وشريدًا، ... تعددت أبعاد [شخصيته] وكانت من أغنى شخصيات تراثنا الشعري، ولذلك فقد افتتن بها شعراؤنا المعاصرون كثيرًا، حتى إن شاعرًا كمحمد عز الدين المناصرة يجعله علمًا على تجربته، ويستعير لنفسه اسمه في قصيدة (المقهى الرمادي)".[1] بينما وظف الصلهبي هذه الشخصية بوصفها رمزًا/ أبا للشعر العربي.

[1] . علي عشري زايد/ استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي، (م. س)، ص 149.

5. 2. الرمز اللوني

لجأ الشاعر إلى توظيف اللون في نصوصه لأنها "تقنع القارئ، وتنال إعجابه، وتشد انتباهه، وتصدم خياله بإبراز الشكل أكثر حدّة، وأكثر غرابة، وأكثر طرافة، وأكثر جمالاً"[1] وفي سياق ذلك جاءت بعض نصوص الصلهبي تحمل رمزية الألوان: (الأبيض، والأسود...).

5. 2. 1. اللون الأبيض

اللون الذي يحمل رمز الصفاء والنقاء والطهارة والسلام، يحتل المرتبة الأولى من حيث الألوان في تجربة الصلهبي؛ الذي وظفه في نصوصه الشعرية وعنّون به بعض قصائده كما في نموذج قصيدة (بياض):[2]

أين غابَ النورُ؟ لا أدري وكمْ ... نتحرى طلعةَ الغائبِ كمْ؟
أمطرتْ ثلجًا، فما لي لا أرى ... غيرَ أشلاءِ الخريفِ المنصرمْ
وأرى نفسي كأوراقٍ تدا ... عت، وفي نهرِ الخبايا تستحمْ
يا صديقي والهوى يجمعنا ... هاهنا نغرسُ للحبِ قدمْ
ثم نمضي لفضاءاتِ المنى ... نملأُ الكونَ ضياءً وقيمْ
وبياضًا فاح من زهرةِ قلـ ... ـبكَ يمحو كلّ أرتالِ الظلمْ

في هذا النص جاء الخطاب موجها لصديق الشاعر يناجيه للعودة بعد الغياب مستذكرًا الأيام الجميلة التي كانت بينهما، فعنوان النص جاء بكلمة واحدة (**بياض**) ليدل على حالة الصفاء والنقاء الذي يريده الشاعر، فكُتِبَ هذا النص محاولة استرضاء المخاطب والعودة للتسامح الذي يمحو كل الخطأ الذي تسبب في هذا البعد.

كثير من الشعراء "يرمز بلفظ الأبيض للإيجابية والخير، وكل ما هو جميل عبر تاريخنا العربي" [3] ورد هذا اللون أيضًا عنوانًا لنص الصلهبي بعنوان: (دفء البياض)، حيث يقول:[4]

من قديمٍ، ألستَ تذكرُ يا صا ... حِ، صبانا؟ ألستَ تذكرُ ساعةْ؟
كان دفءُ البياضِ يسري حميمًا ... في فضاءاتِ عُمرنا المرتاعةْ

---

1 . بيرو جيرو/ الأسلوبية، ترجمة: د. منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، حلب، ط 2، 1994م، ص 17.

2 . حسن الصلهبي/ بين يدي امرئ القيس، (م. س)، ص 82. 83.

3 – أحمد عبد الله محمد حمدان/ دلالات الألوان في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف الاستاذ الدكتور: يحيى جبر، والاستاذ الدكتور: خليل عودة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2008م، ص 78.

4 . حسن الصلهبي/ خائنة الشبه، (م. س)، ص 47.

نرسـمُ الحلْمَ من دمـانـا.. ونعـدو نبتغي صـحوةَ المنى في ضَـراعَـةْ
لـيس مِنَّـا مَنْ أيـقظَ الـمقـتَ إلاّ قـد حبونـاهُ صـفونـا والوداعـةْ
لا نـبـالـي بـمـن تـأفَّـفَ بـالـنـو رِ، ولا من أهدى الظلامَ طِباعَـةْ
همَّنَـا أن نصـوغَ يومًـا جـديـدًا ونُـدلّي صـوبَ الريـاحِ شِـرَاعـةْ
ملؤنـا الحـب والتصـافي مضـينـا نَتَشَـهّى غـدًا.. فيُبـدي امتنـاعَـةْ

في هذا النص جاء اللون الأبيض بقوله (بياض) يرمز لحالة الصفاء والدفء والسعادة وهذا دل على الشطر الشعري (ملؤنا الحب والتصافي). هذا النص موجه لصديق الشاعر يتضمن استرجاعًا للذكريات الجميلة التي تجمعهما بما فيها من دفء وصفاء وسعادة وشوق وحنين.

كما جاء اللون الأبيض في قوله:[1]

تأتينَ وارفةَ البياضِ
تُساقطين الاشتهاءْ.
فألوذُ في عجلٍ
بخيطٍ من خيوطِ الانتشاءْ.

في هذا النص وردت مفردة البياض للدلالة على الجمال؛ حيث تغزل الشاعر في جمال حبيبته، وتغنى به، ومن المتعارف عليه بأن المرأة ذات البشرة البيضاء هي رمز للجمال منذ العصر الجاهلي، وقد ورد مثل هذا الحضور للرمز اللوني في الشعر العربي القديم، ومنه قول الشاعر:[2]

وَبَيْضَـاء يَنْـدَى خَـدُّهَـا وَجَبِينُهَـا مِنَ الْمِسْـكِ فَوْقَ المِجْمَرِ المُتَـأَجِّجِ

وقوله:[3]

مهفهفَـةٌ بيضـاءُ غيرُ مُفـاضَـة تَرائبهـا مَصْـقولـةٌ كـالسَّـجنجَـلِ

---

[1] . حسن الصلهبي/ لا سواي يليق بك، (م. س)، ص 13. 14.

[2] . بشار بن برد / الديوان، تقديم وشرح: محمد الطاهر ابن عاشور، تعليق: محمد رفعت فتح الله، محمد شوق أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مكتبة لسان العرب، 1954م، ص 80

[3] . امرئ بن القيس/ الديوان، (م. س)، ص 15.

وقوله: [1]

بَيْضَـــاءُ أَوْقَدَ خَدَّيْهَا الصِّـــبَا، وَسَـــقَى أَجْفَـانَهـا مِنْ مُـدَامِ الرَّاحِ سَـــاقِيَهـا

كما للون الأبيض حضـــور قوي في الشـــعر العربي الحديث، رمزًا للنقاء والطهارة، ومن ذلك قول نزار قباني:[2]

ولم تسقط نقطة دم واحدة

على ثوبك الأبيض.

ويقول عبد الله البردوني:[3]

بيضُ الصـــفائحِ أهدى حينَ تحمِلُها أيـدٍ إذا غَلَبَـتْ يعلو بهـا الغَلَـبُ

5. 2. 2. اللون الأسود

يرمز إلى الحزن والفراق والتشـــاؤم، ومما يحيل إلى هذه الدلالة في القرآن الكريم قوله تعالى: "وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم"،[4] فإن نسبة حضوره في الدواوين المدروسة قليلة جدًا باللفظ الصريح المباشر، فلقد جاءت بقصيدة واحدة.

لقد جاء أحد عناوين الشـاعر محيلا إلى اللون "الأســود"، ففي ديوانه (خائنة الشـبه) جاءت أول قصيدة بعنوان (السواد) يقول فيها:[5]

تـدلّـى الســـوادُ عـلـى كـأســـهِ تـعـرّى.. فـأبـدى طـلاءَ الـجـبـاهْ

ويـجـتـرهُ الـلـيـلُ فـي صـــحـوه يـجـرجـرُ رجـلـيـهِ حـتـى رمـاهْ

أيـرنـو؟.. لـمـاذا؟.. لأشـــلائـه؟.. فـألحـانـهُ حشـــرجـات الشّـــفـاهْ

جاء العنوان مكتسـيا باللون الأسـود الذي يرمز إلى الحزن والتشـاؤم والسـوداوية، ليعبر عن موقفه الشـاعر؛ حيث يحيل السـواد إلى حالة الحزن وعدم الرؤيا، فالشـاعر هبط عليه ظلام دامس فلم يعد يرى، وهذا ولّد عنده نظرة سوداوية وحزنًا عميقا.

---

[1] . البحتري/ الديوان، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، الجزء 4، ط 3، (د. ت)، ص 2409.

[2] . نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، ج 2، ص 643.

[3] . عبد الله البردوني/ الأعمال الشعرية، المجلد الأول، (م. س)، ص 595.

[4] . سورة النحل، آية (58).

[5] . حسن الصلهبي/ خائنة الشبه، (م. س)، ص 7.

حضر هذا الرمز اللوني بقوة في الشعر العربي القديم، ومن ذلك قول الشاعر:[1]

فيها اثنانِ وأربعونَ حلُوبة سودا كحافيةِ الغُراب الأسْحمِ

وقوله:[2]

إنَّ "حُبَّي" بِحُبِّها تَرَكَتْنِي مُسَهَّدا
أَمْسَكَتْنِي عَلَى الصَّبَا بَةِ حَرَّانَ مُعْبَدًا
آمَلُ العَيْشَ تَارَةً وَأَرَى المَوْتَ أَسْوَدَا

في البيت الأول اختلفت دلالة الرمز؛ فعنترة بن شداد يصف الراحلة التي فيها المرأة بالسواد الذي شبهه بحافية الغراب الأسحم أي أنه شديد السواد. أما أبيات بشار بن برد فتملؤها أجواء الحزن والأسى حتى تخيل أنه الموت أسود.

كما حضر اللون الأسود في عناوين قصائد الشاعر نزار قباني منها: (الضفائر السود)[3] و(اللؤلؤ الأسود).[4] وعند أمل دنقل في قصيدته: (البطاقة السوداء).[5] كما حضر في نصوص البردوني:[6]

وحدي هنا يا ليلُ وحدي ما بين آلامي وسُهدي
وحدي وأمواتُ المنى والذكرياتُ السودُ عندي

وقول الشاعر:[7]

مررتُ بوادي الخوفِ
أتلو كتابَ الخوفِ
أطوي نهارًا غامقًا وأشيع الطِّيبَ
في قريةٍ مأهولة بسواد الجوع..
يا لسواد الجوع رانَ على الأرض وطالا.

---

1. عنترة بن شداد/ الديوان، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة، لبنان . بيروت، ط1، 2004، ص 12.
2. بشار بن برد/ الديوان، الجزء الثاني، (م. س)، ص 201 .
3. نزار قباني/ الديوان، (م. س)، ص 110.
4. نزار قباني/ المرجع نفسه، ص 559.
5. أمل دنقل/ الأعمال الكاملة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 2، 2010، ص 428.
6. عبد الله البردوني/ الأعمال الشعرية، المجلد الأول (م. س)، ص 163.
7. محمد الثبيتي/ الأعمال الكاملة، نادي حائل الأدبي، ط 1، 2009، ص 115.

في جميع النماذج السابقة جاء الرمز اللوني (الأسود) في السياق اللغوي دالاً على المعاناة العميقة والألم والحزن.

ومن النماذج التي جمعت بين اللونين الأبيض والأسود معًا في شعر الصلهبي، ما جاء في قصيدة (أخيرًا سقط القمر) إذ يقول:[1]

أتى دونَ وعدٍ،
توسَّدَ ما قد توسَّدهُ
الراقصون على الجمرِ،
هذا قريبٌ/ وهذا بعيدْ..
أنا آخر الفجرِ..
هبني بياضًا إذا شئتَ،
هبني سوادًا إذا شئتَ.
يأتي الصباح فأغرقُ في الضوءِ
حتى يحلّ المساءُ
أنا آخرُ الميتين
وأول من يبعثون..

في هذا النص اجتمع لونان متضادان وهما الأبيض والأسود، يشيران إلى رمزين متضادين فالأبيض رمز للخير والأسود رمز للشر. ويقول في قصيدة (حالة اشتباه):[2]

لا اشتهاءً يُفيقهُ لا مساءً يُحاوِرُهْ
لا بياضٌ يعيشهُ لا سوادٌ يُخامِرُهْ
من رمادِ حروفهِ من زجاجٍ ستائِرُهْ

من المتعارف عليه أن الدائرة اللونية تبدأ باللون الأبيض وتنتهي باللون الأسود، وهذا النص يصف الحالة التي يعيشها الشاعر فهو لا يعيش حالة السعادة الكاملة التي تكمن في منطقة البياض ولا يعيش في حالة الكآبة والتعاسة التي في المنطقة السواد، بل هو في منزلة وسطى.

---

[1] . حسن الصلهبي/ خائنة الشبه، (م. س)، ص 63.

[2] . حسن الصلهبي/ المرجع السابق، ص 33.

وفي المجمل؛ فقد بنى الصـــلهبي عوالم رمزية تثير كوامن القارئ وتغريه بمزيد من شـــغف التلقي، وقد اتسمت رموزه بالبساطة والحيوية فبدت منسابة بدون إقحام أو تصنع.

6. خلاصة

في المجمل؛ فقد بنى الصـــلهبي عوالم رمزية تثير كوامن القارئ وتغريه بمزيد من شـــغف التلقي، وقد اتسمت إحالاته النصية بالبساطة والحيوية فبدت منسابة بدون إقحام أو تصنع. ويمكن القول إن الشاعر استطاع أن يشد وعي القارئ بانفتاحه على نصوص متعددة ومتنوعة من حيث النسق الأدبي والخلفيات الفنية والثقافية؛ مما يتيح للقارئ العبور إلى جزيرة شعرية خصبة.

المصادر والمراجع

1. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد:

- المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 4، (د. ت).

2. أبو ماضي، إيليا:

- من أعمال الشـــاعر إيليا أبو ماضـــي (الجداول، الخمائل، تبر وتراب)، دار كاتب وكتاب، بيروت، لبنان، 1988

3. البحتري، أبو عبادة:

- الديوان، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، الجزء 4، ط 3، (د. ت).

4. البخاري، الإمام:

- صحيح الأدب المفرد، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدّليل، ط 4، 1997

5. البردوني، عبد الله:

- الأعمال الشعرية، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، ط 1، 2009، ج 1.

6. بن برد، بشار:

- الديوان، تقديم وشرح: محمد الطاهر ابن عاشور، تعليق: محمد رفعت فتح الله، محمد شوق أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مكتبة لسان العرب، 1954

7. بن حجر، امرؤ القيس:

- الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، 1984.

8. بن شداد، عنترة:

- الديوان، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة، لبنان .بيروت، ط1، 2004

9. الشبيتي، محمد:

- الأعمال الكاملة، نادي حائل الأدبي، ط 1، 2009

10. جيرو، بيرو:

- الأسلوبية، ترجمة: د. منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، حلب، ط 2، 1994.

11. حمدان، أحمد عبد الله محمد:

- دلالات الألوان في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف الاستاذ الدكتور: يحيى جبر، والاستاذ الدكتور: خليل عودة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2008.

12. الدخيلي، حسين:

- جماليات العنوان في شعر سميح القاسم، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد 32، 2018

13. دنقل، أمل:

- الأعمال الكاملة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 2، 2010

14. زايد، علي عشري:

- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ط)، 1997.
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سيناء، ط 4، 2002

15. زلزلة، محمد صادق:

- مجمع الأمثال العربية البغدادية وقصصها، دار الإرشاد للطباعة والنشر، 2006

16. السياب، بدر شاكر:

- المعبد الغريق، نص منشور على موقع الديوان على شبكة الأنترنيت من خلال الرابط:
https://diwandb.com/poem/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D9%8A%D9%82.html

17. الصلهبي، حسن:

- بين يدي امرئ القيس، نادي القصيم الأدبي، ط1، 2010.
- خائنة الشبه، نادي أبها الأدبي، 2003.
- لا سواي يليق بك، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2016

18. علوش، سعيد:

- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1985

19. العلوي، محمد أحمد بن طباطبا:

- عيار الشعر، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط 2، 2005

20. الغذامي، عبد الله:

- ثقافة الأسئلة: مقالات في النقد والنظرية، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 2، 1993

21. الفايز، هدى بنت صالح:

- لغة الشعر السعودي الحديث دراسة تحليلية نقدية لظواهرها الفنية، النادي الأدبي بالرياض، 2011.

22. قباني، نزار:

- الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان.